الجانب الأدبي في كتاب " الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب

الأستاذ الدكتور أحمد فوزي الهيب

جامعة الجزائر الثانية (أبو القاسم سعد الله)

تاريخ الإرسال: 2018/6/8

تاريخ القبول: 2018/12/6

الأدب في كتب تواريخ المدن نوع مهم من أنواع الأدب في اللغة العربية أو غيرها من لغات العالم، لا يمكن إهماله البتة في دراسة الحركة الأدبية شعرًا أو نثرًا في أي عصر من العصور ، أو قطر من الأقطار أو مدينة من المدن، لأنه جزء أصيل لا يتجزأ منها.

وهو فن أدبي يُعنى بالتأريخ للبلاد والمدن وحيواتها وترجمة رجالاتها من حيث أسماؤهم وعصرهم وبيئتهم وعلومهم وأدبهم ، ويعرض ذلك بأسلوب أدبي تختلف جمالياته باختلاف أصحابه، ومن البديهي كذلك أن يُعنَى بتراجم الأدباء والشعراء وأدبهم وسماته شعرًا كان أو نثرًا ، فأُلِّفَتْ المؤلفات الكبرى في ذلك، مثل كتاب المشرق في حُلى المشرق ، وكتاب المغرب في حُلى المغرب لابن سعيد (ت685هـ) وبعض أقاربه، ومثل تاريخ بغداد للبغدادي (ت 463هـ)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت571هـ)، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (ت660هـ)، والدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية (ت843هـ) وغيرها، والأخير موضوع هذا البحث.

****

ولقد حذف كثير من أصحاب الكتب الآنفة الذكر أسانيد أخبارهم ، التي التزموا بها في بداية الأمر أسوة بأصحاب الحديث النبوي الشريف ، فغدت بهذا الحذف أدبًا من حيث المضمون والشكل ، عبرت عن شخص صاحبها وأدبه من جهة ، وعن الروح الأدبية للعصر ا لذي قيلت فيه أو تحدثت عن أعيانه ، وعن ظلال المكان الذي ترجمت لأعلامه ، ولقد وضح ذلك ياقوت الحموي في قوله: "وحذفت الأسانيد إلا ما قلّ رجاله، وقرب مناله ، مع الاستطاعة لإثباتها سماعًا وإجازة ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أنني قصدت صغر الح جم وكبر النفع، وأثبتّ مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب الع لماء المعوّل في هذا الشأن عليهم، والمرجوع في صحة النقل إليهم "[1].

****

وأما ترتيب التراجم في تلك الكتب، فقد وضع أصحابها لذلك خطة محكمة سهلة ، اعتمدت الترتيب الألفبايي لأسماء الأعلام ولأسم اء آبائهم، تُمكِّن الباحث م ن الوصول إلى مبتغاه بسهولة ويسر، كما رتبوا الأسماء المتشابهة حسب سني وفاة أصحابها ، لتسهيل البحث على الباحث في وقت لم تكن للكتب الفهارس المتنوعة التي نعرفها اليوم ، وقد أشار إلى ذلك ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان[2].

وفضلًا عن الأعلام الذ ين عرفوا بأسمائهم وأسماء آبائهم ، ثمة أعلام آخرون عرفوا بلقبهم أو نسبتهم أو كنيتهم ، فأفرد أصحاب كتب التراجم لهم فصلًا خاصًا بهم ، ذكروا فيه أسماءهم وأسماء آبائهم تيسيرًا للباحثين، وأشاروا إلى ذلك[3].

****

إن كثيرًا من الكنب الآنفة الذكر وأمثالها هي كتب أدبية بامتياز مضمونًا وشكلًا ، وذلك لما تضمنته بعامة من نماذج أدبية شعرية ونثرية لا توجد في سواها من جهة ، ولابتعاد أكثرها عن ذكر الأسانيد والعنعنات التي هي مهمة جدًا في كتب الحديث النبوي الشريف من جهة ثا نية، ومن جهة أخرى لأن أكثرها قد صيغ بأسلوب أدبي جميل، نستطيع أن نطلق عليه السهل الممتنع ، لأنه يوصل مضمونه من المعلومات بأسلوب جميل ممتع بسيط ، الأمر الذي يوجب على الباحث أن يعدها أنواعً ا أدبية جديرة بالعناية والدراسة ، ونماذج من الأدب لا يمكن إغفالها ، بل تج ب

---

[1] معجم الأدباء1-7

[2] قال ابن خلكان: "فاضطررت إلى ترتيبه، فرأيت على حروف المعجم أيسر منه على السنين، فعدلت إليه، والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة، ثم من كان ثاني حرف من اسمه الهمزة أو ما هو أقرب إليها، على غيره، فقدمت إبراهيم على أحمد لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء، وكذلك فعلت إلى آخره، ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصر وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين، لكن المصلحة أحوجت إليه". (وفيات الأعيان 1-2)

[3] مثل ياقوت الحموي إذ يقول : " وأفردت في آخر كلّ حرف فصلا أذكر ف يه من اشتهر بلقبه أو نسبه أو كنيته، وخفي عن أكثر الناس اسم ه، فأذكر من لقبه على ذلك الحرف ، من غير أن أورد شيئا من أخباره فيه، إنما أدلّ على اسمه واسم أبيه لتطلبه في موضعه" (المصدر نفسه)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العناية بها وعدم الاقتصار على ما قيل في عصرها من شعر أو نثر فني فقط ، لأنها تتفوق جماليًا عليهما في أحايين كثيرة ، وبخاصة فيما بعد القرن السادس الهجري ، كما أنها تعطي أيضًا ملامح وظلالًا جديدة لصورة الأدب في تلك العصور ، تثريها وتنصفها وتصوِّب ما أطلق عليها من أحكام وما وصفت به من صفات الضعف والانحطاط.

****

وعلى الرغم من أن كثيرًا من هذه الكتب الآنفة الذكر يصلح أن يكون أنموذجًا لهذا الضرب من الآداب في عصره ، فإننا آثرنا أن يكون موضع عنايتنا في هذا البحث كتاب " **الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب "لابن خطيب الناصرية** ، والذي حققته وقدمت له، وصدر في ستة أجزاء في شهر مارس سنة 2018 بمؤسسة البابطين الثقافية في الكويت، وذلك لأسباب عدة، منها:

- أنه كتب في القرن التاسع الهجري الذي يصف باحثون أدبه بالانحطاط.
- حوى بين دفتيه الكثير من القصائد والمقطعات الشعرية والفنون الشعرية المستحدثة والأزجال والنصوص النثرية التي قلما ذكرت في غيره من المصادر.
- صاغه مؤلفه بأسلوب جميل سهل خال من قيود الصنعة ، مما جعله أنموذجًا يكمل هو وأمثاله صورة آداب العصر المملوكي ، ويصححها ويمحو الأحكام الجائرة التي أطلقت من غير تدقيق وإنصاف على آداب ذلك العصر ، وعلى آداب الدولتين الأيوبية والزنكية بعد أن جمعها بعض الباحثين مع آداب الدولة العثمانية في زاوية واحدة ، وأطلق عليها كلها اسم أدب عصر الانحطاط . وذلك لأن ثمة فروقًا كبيرة بين الدولتين الزنكية والأيوبية من جهة، والدولة العثمانية من جهة أخرى . منها - على سبيل المثال لا الحصر - أن هاتين الدولتين وعواصمهما ومدنهما الرئيسة كانت في البلاد العربية ، وأن لغتهما الرسمية كانت العربية، وأن كثيرًا من السلاطين ورجالاتهما قد تعربوا وأجادوا العربية ونظموا بها الشعر رغم أصولهم الأعجمية ، وأن الوزراء والكتاب والقضاة وغيرهم في كلتا الدولتين كانوا من العرب ، بل من الأدباء والعلماء، ولا نجد ذلك في الدولة العثمانية إلا قليلًا.
- وفضلًا عما تقدم نضيف إلى مسوغات اختيارنا لهذا الكتاب أنه حديث التحقيق والنشر، لم يطبع من قبل رغم أهميته ، وذلك لأن المحققين تحاشوا تحقيقه لضخامته وصعوبة العمل فيه لأسباب لا مجال لذكرها الآن.
- أنه لم يُدرس من قبل ، وإنما ثمة إشارات إلى عنوانه ومؤلفه وأهميته في عدد من المصادر والمراجع، مما يجعله إضافة مهمة إلى المكتبة العربية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ومع ذلك فهو ثاني أكبر كتاب في تاريخ مدينة حلب الشهباء بعد كتاب " بغية الطلب في تاريخ حلب " لابن العديم ، والذي لم يصل إلينا إلا ربعه بعدما ضاع ثلاثة أرباعه مع الأسف الشديد.
- بلغ عدد الأعلا م الذين ترجم لهم (1667) علمًا، منهم الشعراء والكتاب والعلماء والسلاطين والملوك والقادة والمتصوفة وغيرهم ، وهذا عدد كبير جدًا إذا قورن بعدد المترجم لهم في أمثاله من المصادر ، مثل معجم الأدباء لياقوت الحموي ووفيات الأع يان .
- ذكر عددا كبيرًا من النساء اللواتي أسهمن في الحياة العلمية والأدبية في ذلك العص .
- غطى الكتاب حقبة زمانية واسعة ، ابتدأت من نهاية كتاب " بغية الطلب في تاريخ حلب " لابن العديم سنة 658هـ حتى وفاة المؤلف سنة 843هـ ، أي قرابة قرنين.

****

وأما صاحبه ، فهو عليّ بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يع قوب بن علي بن هبة الله بن ناجية ، العلاء أبو الحسن الطائي الجبريني[1] ثم الحلبي الشافعي، سبط العالم الزين علي ابن العلامة قاضي قضاة حلب الف خر عثمان بن علي بن عثمان الطائي، ويعرف العلاء بابن خطيب الناصرية[2].

ولد سنة أَربع و سبعين وسبعمائة بحلب في أسرة مشهورة بالعلم ، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم، ودرس كثيرًا من الكتب على كبار علمائها ، ثم ارتحل لطلب العلم إلى القاهرة وبيت المقدس وحماة وطرابلس ودمشق وغيرها ، وأخذ العلم على أشهر علماء عصره حتى غدا واحدًا منهم بعدما جمع بين غزارة العلم ورجاحة العقل والخلق الرفيع.

وحدّث ابن خطيب الناصرية ببلده وبالقاهرة وغيرهما ، وأخذ عنه الأئمّة ، وكانت دروسه حافلة بِحيث كانَ شيخه البرهان الحلبي [3] يقول: هي دروس اجتهاد لم أسمع شبهها إلَّا من شيخنا البُلقينيّ[1]، كما قال عنه العلاء القلقشندي المصري[2] : ما قدم علينا من الغرباء مثله[3].

---

[1] نسبة إلى قرية بيت جبرين الفستق قرب حلب التي لما تزل عامرة معروفة.

[2] الضوء اللامع 5-303

[3] إبراهيم بن محمد بن خليل الطَّرَابُلُسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين: عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعية، ويقال له : البرهان الحلبي وسِبْط ابن العَجَمي . ولد في حلب سنة 753هـ. رحل إلى دمشق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يزل ابن خطيب الناصري ة يدرس ويفتي ويصنف حتّى مات بِمدينت ه حلب يوم ال خميس منتصف ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، ورثاه قاضي المسلمين محب الدين أبو الفضل ابن الشحنة بقصيدة، منها:

ناحَتْ على سلطانِها العلماءُ وبكَتْ لِفقدِ علائِها الشـهباءُ
وانهدَّ ركنٌ أيُّ ركنٍ شامخٍ للمسلمينَ ويُتِّمَ الفقهـاءُ
فلئنْ رأينا الشهبَ يومَ مماتِهِ لا بِدْعَ لمَّا أنْ تغيبَ ذُكـاءُ
جلَّ المصابُ بهِ وعمَّ فَمَوْتُهُ - قَسَمًا - مُصابٌ ليسَ عنْهُ عزاءُ
اللهُ أكبرُ يالُها مِنْ ثلمـةٍ في دينِ أحمدَ مالها إرْفـاءُ[4]

وثمة غير ذلك مما كُتب عن ابن خطيب الناصرية ، إذ ذكره كثير من القدماء مثل الس .خاوي[5] وأبو ذر[6] وابن الحنبلي[7] والملطي القاهري[8] والمقريزي[9] وابن تغري بردي[10] والأدنه وي[11] والشوكاني[12]

وفلسطين ومصر والحجاز، وأخذ عن علمائها، وله مؤلفات عدة، وفي أيامه هاجمها تيمورلنك . توفي في حلب841 هـ (البدر الطالع1-28)

[1] عمر بن رسلان بن نصير البلقيني المصري الشافعيّ، (724 - 805 هـ) مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بلقِينة بمصر، وتعلم بالقاهرة . وولي قضاء الشام سنة 769 هـ وتوفي بالقا هرة، له مؤلفات كثيرة. (المصدر نفسه 6-85)

[2] علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي الشافعي القرشي، ولد بالقاهرة سنة788هـ وتفقّه بعلماء عصره، وبرع في عدة علوم، وتصدى للإفتاء والتدريس، وتوفي سنة 856هـ (شذرات الذهب 9-422)

[3] الضوء اللامع 5-306

[4] كنوز الذهب 2-155

[5] الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 5-303

[6] كنوز الذهب 2-154 وغيرها

[7] شذرات الذهب في أخبار من ذهب 9-359

[8] نيل الأمل في ذيل الدول 5-115

[9] السلوك لمعرفة دول الملوك 7-455

[10] النجوم الزاهرة 15-479

[11] طبقات المفسرين 1-325

[12] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 1-476

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحاجي خليفة [1] والبغدادي [2]. كما ترجم له أيضًا عدد من العلماء في العصر الحديث ، مثل محمد راغب الطباخ [3] وكامل بن حسين الغزي [4] وخير الدين الزركلي [5] وعمر رضا كحالة [6] .

****

وإذا انتقلنا إلى كتابه " **الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب** " نجده من أهم الكتب التي أرخت لحلب وأكبرها ، ولم يخلف بعده بها مثله [7]، وقد جاء مطبوعًا في ستة أجزاء.

تحدث في بداية الجزء الأول عن اسم حلب وتاريخها وبنائها وقدمها وغير ذلك [8]، ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكر أعلامها الذين بلغ عدد من وصل إلينا منهم – كما أسلفنا - إلى (1668) علمًا من أعيانها الحلبيين، وممن استوطنها، أو مرَّ بها وهو عدد كبير جدًا، فاق به غيره من الكتب المماثلة له كما سبق ذكره ، ورتبهم على حروف المعجم بعامة [9]، فترجم لكل منهم ترجمة، منها الطويل الذي بلغ عدة صفحات، ومنها المتوسط الذي بلغ صفحة، ومنها ما هو أقل من ذلك.

****

[1] كشف الظنون 1-429 و291

[2] إيضاح المكنون4-89 وهدية العارفين 1-173.

[3] إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5-212

[4] نهر الذهب في تاريخ حلب 1-23

[5] الأعلام 5-8

[6] معجم المؤلفين 7-200

[7] إعلام النبلاء1-40

[8] الدر المنتخب 1-50 وما بعدها

[9] ولكن المؤلف قدَّم مَنْ بدأ اسمُهم بـ (عبد الله) على أمثالهم ممن بدأ اسمهم بـ (عبد) متجاوزًا بذلك الترتيب الألفبائي الذي اعتمده في كتابه بعامة تفضيلًا منه لاسم (الله) – تعالى – على غيره من أسمائه الحسنى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما وصل إلى حلب حافظ العصر ابن حجَر العسقلاني [1] سنة 836هـ طالع هذا الكتاب، وأفاد منه، وألحق به أشياء ك ثيرة، وأثنى على صاحبه ، وقال: إن كلًّا منهما سمع من صاحبه [2]. ويكفي هذا في تبيان فضله.

****

ومما يزيد في أهمية الكتاب وقي متة أنه ليس تاريخًا خاصًّا بحلب ، بل هو تاريخ عام للبلاد الشامية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية (التركية)، نجد فيه تراجم أعيان هذه البلاد كلها وشعرائها وأدبائها ، ممن توفي بين سنة 658هـ وسنة 843هـ، وهي سنة وفاته ، فهو - على هذا – كتاب في تاريخ هذه البلاد من النواحي السيا سية والعلمية والأدبية والحضارية ، وهو مشحون بالتأريخ لعلمائها وشعرائها وأدبائها وآثارهم ، وإذا ما قارناه بالدرر ا لكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر وبالضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي يتبين أن اللئثير من التراجم جاءت فيهما وجيزة، بينما جاءت فيه مطولة ، كما أن في بعض الأحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذينك التاريخين ، و هي عند ابن خطيب الناصرية مخ تصرة، لذلك لا يُستغنى بهذين التاريخين عنه [3]، كما أنه تفرد بترجمة بعض الأعلام أو بذكر نتاجهم مما لا يو جد في غيره مما وصل إلينا من كتب ، وهكذا نستطيع أن نجمع منه ومن الدرر الكامنة والضوء اللامع وأمثالهما شعر بعض الشعراء ، ونصنع لهم دواوين خاصة بهم ، مما يساعد في إثراء دراسة الحركة الشعرية والأدبية آنذاك فضلًا عن أساليب هذه الكتب نفسها.

وقد ذكر ابن خطيب الناصرية ذلك بوضوح في أول كتابه وعلله ، فقال : " **فلما كان ح ب الوطن يُعدُّ من الخُلُق الحسن ، وكانت حلب وطني ، عظيمًا قدرُها، جليلًا أمرُها، مع حصانة حصنها، وكثرة أعمالها ومدنها، وطيب نفعها ، وصحة تربتها، ورقة هوائها، وعذوبة مائها،**

---

[1] أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني (773 - 852 هـ) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، تصانيفه كثيرة جليلة، منها "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" (البدر الطالع 1-87)

[2] إعلام النبلاء1-40

[3] مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حاليًا)المجلد 16، العدد 182 شباط (فبراير)1941 ص 185 مقال لمحمد راغب الطباخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغزارة فضلها ، وكثرة العلماء والشعراء من أهلها ، ووفور الطارش [1] من العلماء عليها ، والواردين من الأعيان والفضلاء إليها ، وجمع لها تاريخًا مستوعبًا لذلك الإمام العلّامة أبو القاسم عمر بن أحمد ابن العديم الحلبي الحنفي - رحمه الله تعالى- فأتقن وأجاد وأطال، ولم يسبقه أحد إلى تاريخ لها على الخصوص ، وسماه " بغية الطلب في تاريخ حلب "[2]، رتّبه على حروف المعجم، ومُسَوَّدَته نحو أربعين جزءًا كبارًا ، والمُبَيَّضة تجيء كذلك، لكنه اخترمته المنية قبل إكمال تبييضه ، أحببت أ ن أذيّل عليه ذيلًا مختصرًا ، وقبل الخوض في ذكر الأسماء أصدِّرُهُ بفصول:

- الأول: في حلب ، وأسمائها ، ومن بناها ، وألقابها.
- الثاني: في ذكر حدودها، وأعمالها.
- الثالث: في ذكر فضلها، وخصائصها.
- الرابع: في فتحها.
- الخامس: في نهرها، وقُنِيّها ، ومساجدها، ومعابدها.

وقد ذكر ذلك الصاحب كمال الدين عمر ابن العديم في تاريخه مستوفًى، لكن تاريخه تفرق شذَرَمذَرَ، ولا يوجد إلا القليل منه ، وكنت وقفت منه على بعض أجزاء من المُبَيَّضة قبل الفتنة التمرية[3].

ثم أذكر من هو منها ، أو من ب لادها، أو من اجتازبها من الرواة والعلماء، والفضلاء والرؤساء، ومن كان بها م ن الصالحين والعبّاد، ومن نزلها ، واجتازبها أو بمعاملتها [4] من أهل الشعر والإنشاد ، ومن دخلها أو ملكها من السلاطين ، أو ولیها من الأمراء والنواب وا لقضاة، ومن وفد إليها أو إلى مع املتها من فضلاء غيرها من البلاد ، ومن كان له بها مباشرة من الأعيان ، أو وقعة أُشهِرت عنه فعدّته من الفرسان ممن كانت و فاته من سنة ثمان وخمسين وستمائة ،

[1] لم نجدها في المعاجم ويستخدمها البدو والريفيون حول حلب، ولعلها تحريف طارئ، وهو الآتي من مكان آخر، وتعني هنا العلماء الذين غادروا أوطانهم إليها .(موسوعة حلب المقارنة 1-232)

[2] طبع ما وجد منه ، وهو اثنا عشر جزءًا . تح سهيل زكار. دار الفكر. بيروت

[3] أي تدمير تيمورلنك لحلب سنة 803هـ (نهر الذهب 3-166)

[4] أي ما يتبعها من بلدات وقرى وقلاع وأنهار وغير ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي السنة التي أخذ هولاكو حلب وخربها ، ثم أُنشئِت عمارتها من ذلك الحين وهلمّ جرًّا إلى زمني"[1] .

ثم ذكر منهجه في ترتيب تراجمه – كما أشار من قبل ياقوت الحموي - فقال : " **ورتَّبْتهم على حروف الهجاء، في الاسم، واسم الأب، والجد، وإن علا، مهما أمكن ، وكذلك في حروف الاسم واسم الأب ، وإن علا ، ليكون أسهل للكشف . ولم أدَّعِ الاستيعاب، بل ما وقفت عليه وعلمت ، أو غلب على ظني أنه دخل حل ب أو معاملتها، أو كان من أهلها، أو وُلِد بها . فمن عثرع لى اسم أحد قد أهملته فليُلحقْهُ، وليَدْعُ لي وله بالمغفرة والرحمة.**

وأما الملاح م فإني أذكرها باسم من اشتهرت به ، وكذلك النوازل والنوادر أذكرها في ترجمة من تُوفي في السنة التي اتفقت فيها. وسمّيْتُهُ الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب "[2].

****

وتتجلى القيمة الأدبية لهذا الكتاب فيما ذكره من شعراء وأدباء من جهة، وفيما نقله من نصوص أدبية شعرية، ونثرية من جهة ثانية، وفي أسلوبه الأدبي السهل البعيد عن الصنعة والتكلف وما فيه من قيم جمالية من جهة أخرى.

أما الشعراء فقط ، فقد بلغ عددهم في الدر المنتخب 357 شاعرًا، وهو عدد كبير جدًّا، وخاصة إذا ما قورن مع ما جاء في أمثاله من الكتب، وكان من هؤلاء الحلبي الذي ولد وعاش ومات في حلب، ومنهم الذي ولد في حلب وانتقل إلى غيرها، ومنهم من استقر بها، أو زارها، أو مرَّ بها، أو بالبلاد التي كانت تتبعها في الحقبة التي أرَّخ لها ابن خطيب الناصرية، كما كان منهم أيضًا الحمَوي والحمصي والدمشقي والعراقي واليمني والمصري والمغاربي والأندلسي والعجمي والرومي والقرمي والتركستاني وغير ذلك، ومثلما تعددت بلدان هؤلاء الشعراء اختلفت قومياتهم ، فكان منهم العربي والتركي والعجمي والكردي وغير ذلك، ولكنهم كانوا جميعًا قد اتخذوا اللغة العربية لسانًا عبروا به عن مكنونات عقولهم ومشاعر قلوبهم.

[1] الدر المنتخب 1-47 وما بعدها
[2] نفسه 1-49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفضلًا عن ذلك كان بعض هؤلاء الشعراء مشهورًا، مثل ابن نباتة (ت **768 هـ**) وصفي الدين الحلي (ت **750 هـ**) وابن الوردي (ت 749)وغيرهم ، ولكن رغم وجود ديوان شعر مطبوع لكل منهم أورد ابن خطيب الناصرية لهم أحيانًا أشعارًا ليست في دواوينهم فضلًا عن تلك التي فيها، كما ذكر ابن خطيب الناصرية إلى جانبهم شعراء أقل منهم شهرة، وشعراء غير مشهورين أيضًا ضاعت دواوينه، أو ليس لهم دواوين.

ولذلك كان من هؤلاء الشعراء المتفرغ للشعر، لا همَّ له سواه مثل ابن نباتة، ومنهم من كان له وظيفة أو مهنة إلى جانب الشعر ، أو كان الشعر إلى جانبها . وقد اختلفت هذه الوظائف أو المهن، فكان منها المهنة المرموقة كالكتابة الديوانية لدى الشهاب محمود أو القضاء عند ابن الوردي ، ومنها ما كانت مهنة أقل من ذلك ، ولكنها متميزة راقية كالطب، وهي مهنة أبي بكر بن أحمد بن داود الحمصي، ومنها ما كانت مهنة عادية شعبية كالحلاقة مثل مهنة محمد بن إبراهيم بن بركة المزين.

ومثلما اختلفت المهن وتفاوتت ، اختلفت منازل الشعراء من حيث ال نسب والثقافة والمستوى الاجتماعي ، فكان منهم الشريف الثري مثل أحمد بن أحمد بن محمد بن علي [1]، ومنهم الفقير الذي يسأل الناس إحسانًا مثل عين بصل [2]، ولا شك في أن لقبه الذي عُرف به يدل على منزلته الاجتماعية، كما كان منهم شبه الأمي و منهم العالم النحرير المشار إليه بالبنان مثل ابن خَلِّكان [3] ، وكلك نجد في الكتاب أيضًا ترجمات وأشعارًا لشعراء عدة ينتمون لأسرة واحدة اشتهرت بالأدب والشعر، توارثه رجالاتها مثل بني العديم وبني الشهاب محمود وأبناء حبيب وبني الشحنة وبني قرناص وغيرهم، وقد ورد كل منهم في موضعه الذي اقتضاه الحرف الذي ابتدأ به اسمه.

وفي بعض الأحيان تفرّد كتاب " الدر المنتخب " بذكر شعر لبعض الشعراء لا نراه في غيره، الأمر الذي يزيد في قيمته الأدبية، وربما يدفع بعض الباحثين إلى جمع ما جاء في هذا الكتاب من شعر شاعر من الشعراء، ثم يضيف إليه ما جاء له من شعر في غيره من المصادر الشبيهة به، ويصنع من ذلك كله ديوانًا خاصًا لهذا الشاعر .

كما تزداد أيضًا أهمية الكتاب الأدبية بكثرة عدد قصائد هؤلاء الشعراء ومقطعاتهم من جهة، وبعدد أبياتها الضخم أيضًا من جهة ثانية، ومن تعدد أنواعها من شعر قريض، ثم مسمطات

[1] نفسه 1-211

[2] اسمه إبراهيم بن علي بن إبراهيم . نفسه 1-148

[3] اسمه أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. نفسه 1-371

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وموشحات ودوبيتات، كما نجد في الكتاب أيضًا بعض فنون اللغة العامية مثل المواليا والزجل والبُلّيقات.

أما الشعر القريض فقد جاء في قصائد كاملة، مثل قصيدة ابن الزملكاني الدمشقي[1]، الفقيه الشافعي في مدح النبي - ﷺ – والتي تأثر فيها بقصيدة الشريف الرضي (ت 406هـ)[2]، وأول قصيدة ابن الزملكاني:

أهواكِ يا ربَّةَ الأســتارِ أهواكِ وإنْ تباعدَ عنْ مغنايَ مغناكِ

وأُعْمِلُ العيسَ والأشــواقُ تحملُني عسى يشاهدُ مَغْناكِ مُعَنّاكِ
تهوي بها البيدُ لا تخشَى الضلالَ وقدْ هُدَتْ ببرقِ الثنايا مِنْ ثناياكِ
تسوقها نَسَماتُ الصُّبْحِ ســاريةً تسوقُها نحوَ رُؤياكِ بِرَيَّاكِ[3]

ومثل قصيدة الشهاب محمود في مدح الملك الأشرف[4] بعدما فتح قلعة الروم الحصينة وأولها:

لكَ الرايةُ الصَّفْراءُ يَقْدمُها النَّصْرُ فمن كيقُباذٌ إنْ رآها وكيْخُــسْرُو[5]
إذا خَفَقَتْ في الأفْقِ هُدْبُ بُنُودِها هوى الشِّرْكُ واستعلى الهُدى وانْجلى الثغرُ
وإنْ نُشرتْ مثلَ الأصائلِ في وغًى جلا النَّقْعُ منْ لألاءِ طَلْعتِها البــدرُ[6]

وكذلك أتى الشعر القريض أيضًا في مقطعات كثيرةٍ كثرةً تدل على مدى عناية الشعراء آنذاك واهتمامهم بها لأسباب عدة، منها أنها لا تحتاج إلى نفس شعري طويل، ولأنها يمكن أن تكون مجلًى

[1] عبد الرحمن بن محمد بن علي كمال الدين بن الزملكاني الشافعي الصدر الفقيه، القاضي كان جيد الصحبة جوادًا. توفي في دمشق سنة 739هـ.(أعيان العصر3-41)
[2] مطلعها: يا ظبية البان ترعى في خمائله ** ليهنك اليوم أن القلب مرعاك (ديوان الشريف الرضي 2-93)
[3] الدر المنتخب 5- 2251
[4] خليل بن قلاون الملك الأشرف، من سلاطين المماليك في مصر. جلس على السرير بعد وفاة أبيه سنة 689 ، فتح عكا وطهر الشام والسواحل من الإفرنج . ت سنة 693 هـ (سلم الوصول إلى طبقات الفحول 2-86)
[5] كيقباذ وكيخسرو ملكان من أعظم ملوك الفرس قبل الإسلام (الكامل في التاريخ 1-181و215)
[6] الدر المنتخب 3- 984

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كافيًا لمعنى مبتكر ، أو صورة فنية جديدة مبتدعة، أو محسن بديعي طريف، ومنها قول إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قِرْناص[1]:

لَيلِي وليلُكَ يا سُؤْلِي ويا أملي ضِدّانِ هذا بهِ طُولٌ وذا قِصَرُ

وذاكَ أنَّ جفوني لا يُلِمُّ بها نومٌ وجفنُكَ لا يحظَى بهِ سَهَرُ[2]

وكذلك نجد في كتاب الدر المنتخب مسمطات شعرية، مثل مخمس ابن القيسراني المخزومي الحلبي[3]، وأوله:

أيا فاضلاً تُلْهِي معاني صفاتِهِ فكلُّ بليغٍ فاضلٍ مِنْ رُواتِهِ
ومَنْ يستبينُ الفهمُ مِنْ لحظاتِهِ له آمرٌ بالرشدِ في يقظاتِهِ
وفي النومِ يهديهِ لِخيرِ الطرائقِ
ومَنْ قُرْبُهُ غاياتُ كلِّ فضيلةٍ وأشطرُهُ تُزْهَى بِزَهْرِ خميلةِ
وجُملتُهُ في الناسِ أيُّ خميلةٍ فإنْ قامَ لمْ يدأبْ لِغَيرِ فضيلةِ
وإنْ نامَ لم يدأبْ لِغيرِ الحقائقِ[4]

ونجد في الكتاب أيضًا موشحات ، مثل قول طاهر بن الحسن ابن حبيب بن شريح[5]، وأوله:

---

[1] إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الأديب مخلص الدين الحموي الشاعرت 671هـ(نفسه 1-175 والوافي بالوفيات6-87)

[2] الدر المنتخب 1-175

[3] محمد بن عبد الله بن أحمد ابن القيسراني المخزومي الحلبي، ولد في حلب سنة 648هـ وسمع بها ثم انتقل إلى القاهرة فصار من أعيان الموقعين وكان رئيسًا متواضعًا كثير المحاسن، توفي بالقاهرة سنة 707هـ. (نفسه 5-2149)

[4] نفسه 5- 2150

[5] طاهر بن الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن شريح، الملقب زين الدين، أبو العز الحلبي الحنفي (بعد 740-808هـ)، الإمام البليغ الفاضل وبرع في الأدب وصنف، ونظم ونثر، وكتب في ديوان الإنشاء بحلب، ثم رحل إلى القاهرة واستوطنها، وكتب في ديوان إنشائها، وتولى بها ع دة وظائف، وله الكتابة الحسنة، والنظم البليغ الكثير، والفضيلة التامة في صناعة الإنشاء. (نفسه 3-1207)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كاملُ الأوصافِ والخُلُقِ خُلْقهُ منْ أحسنِ الخلقِ في جديدِ الدهرِ والخَلَقِ
لستَ تلقَى مثلَهُ بشرا دائمَ الأفراحِ والبشرْ
مرَّ نيلُ النيلِ عاملـهُ بالوفا والجود عامَلَهُ وإذا ما هزَّ عامِلَـهُ
فيهِ كمْ منْ ذمة فقرا بحيا زائدِ الخَفَـرْ[1]

وفضلًا عن ذلك لم يُغفِل ابن خطيب الناصرية في كتابه هذا الفنون الشعرية المستحدثة ، مثل الدوبيت الذي نظمه الشاعر ابن الخَيْمِيّ[2] :

يا صاحبَ رحْلي قفْ معي ذلكَ الحيْ كنّا أنا والحبيبُ والوصلُ ومَيْ
أفنى أمدُ الفراقِ دمعي ودمـي باللهِ عليكَ فابكِ منّي وعَلّـيْ[3]

وكذلك لم يقف ابن خطيب الناصرية عند شعر اللغة العربية الفصحى ، وإنما وسّع فضاء كتابه ليضم فنون الأدب العامي مثل المواليا التي نظمها وجيه الدين ابن سويد التكريتي[4] في صبيٍّ من الأكراد حسن الصورة قد تزوج ، وزُفَّ ليلة عرسه بدمش :

لمّا جلوا ذا الصبي كالبدر في هالو

سبى المواشط وقالوا فيه ما قالـوا

صبي كردي وكردية من اشكالو

لولا نبات عذارو لالتبس حالـو[1]

---

[1] نفسه 3- 1217

[2] محمد بن عبد المنعم الأنصاري الشافعي الصوفي القدوة، شهاب الدين، المعروف بابن الخَيْمِيّ، الشاعر المشهور والأديب الفاضل، توفي سنة 685هـ. (حسن المحاضرة 1-569 والدر المنتخب 5-2210)

[3] الدر المنتخب 5 - 2218

[4] محمد بن علي بن سُويد بن معالي، المعروف بوجيه الدين ابن سويد التكريتي، التاجر المشهور . ولد بتكريت سنة 609هـ، وسمع بها، ثم قدم البلاد الشامية، وصار من خواص السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، ومن خواص الملك الظاهر بيبرس، وكان عنده بروصدقة، ودماثة أخلاق ورِقَّة حاشية، وينظم المواليا على رأي البغادة ، توفي سنة 670هـ بدمشق. (نفسه 5-2245)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفضلًا عما تقدم ضمَّ الكتاب ما كان يدور بين أهل العلم من إجازات أو نظم علمي علمية لا يمكن أن نعدهما شعرًا أو أدبًا البتة، لأنهما لا يربطهما بالشعر الحقيقي إلا الوزن والقافية، وهما عنصران اثنان فقط من عناصر الشعر غير كافيين لإدخال ما يحتويهما إلى مملكة الشعر السامية. ومع ذلك نذكرهما لإتمام الفائدة، مثل الإجازة العلمية التي كتبها نظمًا ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي المحدِّث[2] لطالب بحلب:

الحمدُ للهِ ربي قدْ أجــازَ لِمَنْ في ذا الكتابِ اسمُهُ أوْ كانَ مُسْتتِرا
محمدٌ بنُ أبي بكر مُســطَّرُهُ بجدِّه ناصرِ الدينِ الذي اشْـتُهِرا
أجازَ مَرْوِيَّهُ مِمَّا لــهُ وأتى عنهُ وفي كلِّهِ للشــرطِ مُعتبِرا
وفي المحرمِ سبعٌ في الثلاثِ أتى ميلادُهُ بدمشقَ جلَّ مَنْ فَطَرا[3]

****

وأما الأدباء فقد ترجم الكتاب لكثير منهم، وذكر كثيرًا من فنونهم الأدبية النثرية المتنوعة، مثل:

- الأوامر السلطانية التي تعدُّ جزءًا من الكتابة الديوانية ، وكانت تسمى – كما ورد لدى ابن خطيب الناصرية – التوقيعات الشريفة ، وهي - شأنها في ذلك شأن جميع الكتابات الديوانية - تتسم بالغلو في التأنق والإكثار من ألوان الصنعة المتنوعة بأنواعها الثلاثة المتمثلة بعلوم المعاني والبيان والبديع، الأمر الذي جعلها مثقلة بالصنعة موسومة بالتكلف ، ولا غرو في ذلك، فقد كانت متأثرة بما في قصور السلاطين و رجالاتهم وحيواتهم من تأنق وتكلف شديدين فضلًا عن

[1] نفسه 5 - 2247

[2] محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الشيخ شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي ال شافعي المحدث. ولد بدمشق سنة 777هـ، سمع فيها حتى غدا محدثها وحافظها ، وكان إنسانًا حسنًا محدِّثًا فاضلًا، وله مؤلفات عديدة، توفي سنة842هـ. (نفسه 5-2095)

[3] نفسه 5- 2097

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأثرها بمثيلاتها السابقة لها مثل كتابات القاضي الفاضل (ت596هـ) والعماد الكاتب (ت597هـ) وغيرهما.

- الكتابة الوصفية ، مثل ما كتبه ابن القيسراني المخزومي الحلبي في وصف وفاء نهر النيل ، وهو: "**وأقبلت زيادتُهُ فعُلِمَ أنَّ شبيبة العام في إقبال، ولجَّتْ لُجَّتُهُ في عُلُوٍ فتلا مُشاهِدُها (وَتَرَى الْجِبَالَ)[1]، وعمَّ بِحُسْنِ راويهِ وأروائهِ فجاجًا، وسقاها على ما بها من الظمأ (ماءً ثَجَّاجًا)[2]، وروى بلادًا لو جاءها غيره لذهب ولم ينفع صاديًا، وأنشد لسانُ حالِهِ (ومن ورد البحر استقل السواقيا)[3]، وكسا البلاد حلَّة جمّةَ المحاسن، وماثلها بـ (الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)[4]، و(أَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)[5] بزيادته التي حَصَلَتْ، وقَتَلَ المحلَ بأمواجه المحمرة، فقيل: حمرتُها دماءُ مَنْ قتلتْ "[6].**

- تقريظ الكتب والدواوين، مثل تقريظ العلامة السبكي[7] لجزء من ديوان شمس الدين الخياط الدمشقي الشاعر، والذي جمع فيه بين النثر والشعر، ومنه : " **الحمد لله . شِعرٌتسنَّم ذروة الأدب، وأخذ من أزمة البلاغة بأقوم سبب، فأهدى إلى القلب شفا الضرَب، وإلى السمع ألحان الطرب، وإلى العين رياضًا يقصّرعن زهرها زُهَير، ويتأخر طرَفةُ عن طرْفها ولو أغذَّ السير، ويشهد لها الملك الضليل بأنها النابغة "[8].**

****

[1] سورة النمل 88
[2] سورة النبأ 14
[3] عجز بيت للمتنبي، صدره: قواصد كافور توارك غيره. الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي 5-460
[4] سورة محمد 15
[5] سورة البقرة 164 والنحل 65 والجاثية 5
[6] الدر المنتخب 5- 2151
[7] علي بن عبد الكافي بن علي السّبكي الشافعي (683- 756هـ) الإمام تقي الدّين أبو الحسن المفسّر الحافظ الأصولي اللّغوي النّحوي المقرئ البياني الجدلي الخلافي، النظّار البارع، شيخ الإسلام، أوحد المجتهدين، وولي قضاء الشام فباشره بعفّة ونزاهة، وتوفي بمصر وصنّف نحو مائة وخمسين كتابا مطوّلا ومختصرا.(شذرات الذهب 8- 308)
[8] الدر المنتخب 5- 2435

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفضلًا عما تقدم نجد في كناب الدر أيضًا وصفًا مهمًا جدًا لمجلس أدبي طريف ، ضم عددًا من أدباء ذلك العصر وعلمائه شارك فيه ابن خطيب الناصرية ، وذلك لأنه يعطينا صورة للوجه الآخر لهم، وهي صورة بعيدة عن الجد والوقار، نجد فيها المزاح واللهو والفكاهة والتباسط والهزل، وكأن ابن خطيب الناصرية أراد أن يخفف من غلواء الجد الذي اتسم به كتابه، فوصف هذه الجلسة الأدبية التي ضمت مجموعة من الأدباء والعلماء ، اشتركوا جميعًا في نظم زجل هزلي ساخر، وطلبوا من عبد الرحمن بن محمد المروزي [1] أن ينسبه لنفسه، ولقد روى ذلك مفصلًا ابن خطيب الناصرية، فقال: " **وكنا يومًا مجتمعين قبل الفتنة التمرية في بيتي بالمدرسة السيفية الشافعية في جماعة من الطلبة، ومعنا القاضي زين الدين عبد الرحمن المذكور، فتذاكرنا الأدب فذُكِر قول الشاعر:**

مَنْ قالَ أنا جندي خلقْ لقدْ صدقْ[2]

فقلنا: تعمل شيئًا في هذا المعنى، فقال القاضي زين الدين: نعم.

مَنْ قالَ: أنا فقيه بشرْ لقدْ فشرْ

فقلنا: كلٌّ منا يقول في القصيدة شيئًا، فذكرت أنا شيئًا، وذكر غيري شيئًا، ثم ذكر القاضي زين الدين المُعْظَم، فقلنا له : أنت اعملها وانسبها إليك، فعملها وأتمها، ونحن حاضرون في ساعة واحدة، ومها:

مَنْ قالَ أنا فقيه بشـرْ لقد فشـــرْ
عندي جلودٌ بلا ورقْ كتبٌ عتــقْ
مِنْ دَرْسِها قلبي احترقْ بنار فكــرْ
مرقعة من النطـوعْ إيش ذي القطوعْ
أصولها معَ الفـروعْ كلَّه هــدرْ
كتابي هو طيفُ الخيالْ يومَ الجــدالْ
ولي عليهِ شروح طوالْ فيها قصرْ[3]

---

[1] عبدالرحمن بن محمد بن سلمان المروزي ابن الخراط زين الدين ولد بحماة سنة 777هـ، وقدم حلب مع ولده، فنشأ بها، وكان أديبًا فاضلا لا بارعًا في النظم والنثر، ومدح الحلبيين بقصائد كثير، وله نظم ونثر، ولي كتابة سر طرابلس وكتابة الإنشاء بالديار المصرية، وعنده دماثة أخلاق وسلامة صدر وعدم شر وحسن سياسة، توفي بالقاهرة سنة 839هـ. (نفسه 3- 1266)

[2] مطلع بُلَّيْق (وهو ضرب من الزجل الماجن) للشيخ سراج الدين عمر بن مولاهم. (النجوم الزاهرة 10-318 والمنهل الصافي 7-216

[3] نفسه 3 - 1367

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

****

وأخيرًا تُتوَّج أهمية الكتاب الأدبية بأسلوب ابن خطيب الناصرية الشخصي في غير ما نقله أو رواه عن غيره، والذي نستطيع أن نصفه بأنه السهل الممتنع البعيد عن الصنعة التي سادت كتابات كثير من الكتاب والأدباء، فغطت بما كان فيها من أستار التصنع الكثيفة ما في النصوص من معانيَ ومشاعر وجمال، وجعل كثيرًا من النقاد يتسرعون فينعتون هذا العصر وآدابه بالانحطاط أو الانحدار متناسين لسبب ما أصناف الأدب الجميل الذي نراه في مقدمة ابن خلدون أو رحلة ابن بطوطة أو رحلة ابن جبير أو حي بن يقظان لابن طفيل أو وفيات الأعيان لابن خلكان وغيرها ، ونجد ذلك الأدب الجميل في كل ما كتبه ابن خطيب الناصرية ببنانه ، ويبدو ذلك في مقدمة كتابه التي سبق ذكرها، وكادت تخلو من السجع إلا في أسطر قليلة في أولها، ولكنه كان سجعا قليلًا خفيفًا لطيفًا، وكذلك كان جميع ما كتبه ابن خطيب الناصرية في ترجماته سهلًا سلسًا بسيطًا جميلًا خاليًا من السجع وغيره من أنواع الصنعة تقريبًا، وذلك مثل ما كتبه في هذه الترجمة التي اخترناها من غير بحث ولا تمحيص : " **أحمد بن يوسف بن مالك شهاب الدين أبو جعفر الرُّعَيني الأندلسي الغرناطي المالكي . وغرناطة - قال الرافعي في تاريخ قزوين [1] -: يقال إنها بلدة دقيانوس [2] صاحب أصحاب الكهف.**

ولد الشيخ أبو جعفر المذكور قبل العشر وسبعمائة، أو في حدود السبعمائة تقريبًا، ورحل إلى الشرق، هو ورفيقه وصاحبه الإمام أبو عبد الله محمد ابن جابر الهواري، فدخل القاهرة، وقرأ بها على الشيخ أبي حيان أثير الدين الأندلسي، ثم قدم دمشق، وسمع بها الحديث من أشياخها كالمِزّي وغيره، وسمع من فخر الدين عثمان المُلَقِّن وابن عبد الهادي الحنبلي والتكريتي، وعز الدين خطيب الصالحية ومحمد سبط عبد الدائم، وشمس الدين محمد السلاوي أصحاب ابن عبد الدائم.

ثم قدم حلب، واستوطنها وأقام بها نحو ثلاثين سنة، وسمع بها الحديث من الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمود وغيره . وحدّث بحلب والبيرة، سمع عليه بحلب أبو المعالي ابن

[1] اسم الكتاب : التدوين في أخبار قزوين، طبع بتحقيق عزيز الله العطاردي . دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1987

[2] أي الملك الذي هرب منه أصحاب الكهف. (التدوين في أخبار قزوين 1-318)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عشائر وشيخنا أبو إسحاق الحلبي وآخرون، وحج مرات، وجاور بالمدينة الشريفة، ثم رجع إلى حلب وأقام بها.

وكان اشتغل بالمغ رب على أبي عبد الله البيري وغيره وبرع، وكان إمامًا عالمًا فاضلًا أديبًا ماهرًا في النثر والنظم مجيدًا فيهما، مكثرًا بارعًا في النحو والبيان والتصريف والبديع، متقنًا لكلام العرب دينًا ثقة حُجَّةً.

اشتغل بحلب وأفاد الحلبيين، وبه وبرفيقه انتفعوا، وأخذ عنه وعن رفيقه علم النحو جماعة كثيرة، منهم مشايخنا كالإمام أبي البركات موسى الأنصاري وأبي إسحاق الحلبي، والشريف عز الدين الحسيني وأبي البقاء محمد بن خليل الحاضري الحنفي، وأخذ عنهما أيضًا أبو المعالي ابن عشائر وزين الدين أبو العز طاهر ابن حبيب، وشرف الدين أبو بكر بن سليمان الداديخي الشافعي، والإمام الأديب علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الله البيري وغيرهم.

وكان حسن الأخلاق حلو المحاضرة، وله مؤلفات مليحة مفيدة في النحو والبديع والعروض والتصريف، منها شرح ألفية ابن معطي في النحو، تزيد على عشر مجلدات كبار، ف يه فوائد ونفائس، وكان يستمد فيه من فوائد رفيقه الشيخ أبي عبد الله المذكور، وهذا الكتاب يدل على عظم قدره وكثرة اطلاعه وتبحره في هذه العلوم، ومنها شرح البديعية المسماة "الحلة السِّيَرا في مدح خير الورى"[1] التي نظمها صاحبه الشيخ أبي عبد الله المذكور.

وله النظم البديع الفائق والنثر المنيع الرائق، من ذلك ما قاله عند الرحيل من غرناطة:

ولمّا وقفنا للوداعِ وقدْ بَدَتْ قِبابُ رُبا نجدٍ على ذلكَ الوادي
نظرتُ فألفيتُ السبيكةَ فضةً لِحُسنِ بياضِ الزهرِ في ذلكَ النادي

[1] "الحلة السيرا في مدح خير الورى "، منظومة بديعية لابن جابر الأندلسي الضرير، ص احب البديعية المسماة، وهي في مائة وسبعة وعشرين بيتًا، وقد سرد فيها ابن جابر المحسنات البديعية حسب ما أورده الخطيب القزويني، وبدأها بقوله:

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم ... وانثر له المدح وانثر طيب الكلم (نظم العقدين في مدح سيد الكونين 491)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلمّا كستْها الشمسُ عادَ لُجَيْنُها لنا ذهبًا فاعْجَبْ لإكسيرها البادي[1]

والسبيكة: موضع خارج حمراء غرناطة.

وله:

تجنّت فجُنّ في الهوى كلُّ عاقلٍ رآها وأحوالُ المحبِّ جنونُ
وما وعدتْ إلاّ عَدَتْ في مطالِها كذلكَ وعدُ الغانياتِ يكونُ[2]

..... وله:

لا تأتمِنْهُ على القلو ب فمِنْهُ أصلُ غرامِها
فلِحاظُهُ هُنَّ التي رَمَتِ الورى بسهامِها[3]

..... وله:

منازلُ ليلى إنْ خلَتْ فلَطالما بها عَمَرَتْ في القلب منّي منازلُ
رسائلُ شوقي كلَّ يومٍ تزورُها وما ضُيِّعَتْ عندَ الكريمِ الوسائلُ[4]

..... وله مضمنًا منها البيت الأخير:

لقدْ كرَّ العذارُ بوجنتيهِ كما كرَّ الظلامُ على النهارِ
فغابتْ شمسُ وجنتِهِ وجاءَتْ على مهلٍ عشيّاتُ العِذارِ
فقلتُ لناظري لمَّا رآها وقدْ خُلطَ السوادَ بالاِحْمِرارِ
(تمتّعْ منْ شميمِ عَرارِ نَجْدٍ فما بعدَ العشيَّةِ مِنْ عَرارِ)[5]

وله مضمنًا مطلع قصيدة أبي تمام في عجز البيت الأخير:

---

[1] مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 53 .
[2] مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 69 .
[3] مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي69 .
[4] مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي64 .
[5] مجلة معهد المخطوطات . شعر أبي جعفر الغرناطي 56. والبيت الأخير للصّمّة القشيري (الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره 95) وهو من بني عامر بن صعصعة، من مضر، شاعر أموي بدوي من العش اق المتيمين. كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام . ثم خرج غازيًا يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان سنة 95هـ تقريبًا. (الأغاني 6-5)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومُوَرَّدِ الوجناتِ دبَّ عِذارُهُ فكأنّه خطٌّ على قرطاسِ
لمّا رأيْتُ عِذارَهُ مستعجِلًا قد رامَ يخفي الوردَ منهُ بِآسِ
نادَيْتُهُ قفْ كي أودِّعَ وردَهُ (ما في وقوفِكَ ساعةً منْ باس)[1]

وله في المعنى:

هلمَّ إلى ذاتِ الستورِ وأختِها نقضي لباناتِ الفؤادِ المُعذَّبِ
إذا زرتُها والليلُ مُرْخٍ ذيولَهُ وجدْتُ بها طيباً وإنْ لمْ تُطيَّبِ

وله:

أبدَتِ لِيَ الصدغَ على خدِّها فأطلعَ الليلُ لنا صُبْحَهُ
فخَدُّها معْ قدِّها قائلٌ (شقيقٌ عارضٌ رمحَهُ)[2]

..... توفي - رحمه الله تعالى - يوم السبت منتصف رمضان سنة تسع وسبعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصالحين خارج باب المقام بحلب.

ورثاه رفيقه الشيخ الإمام العلّامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري المِرَيّ بقصيدة، وهي:

لقدْ عزَّ مفقودٌ وجَلّ مُصابُ فَلِلْخَدِّ منْ حُمْرِ الدموعِ خِضابُ
مصابٌ لَعمري ماأُصِبْتُ بمثلِهِ ولا أنا فيما بعدَ ذاكَ أُصابُ
فإنْ أبكِ لمْ أُعْتَبْ وإنْ أُرَصابرًا فليسَ على الصبرِ الجميلِ عتابُ
بكيتُ ولكنْ لمْ أجدْ ذلكَ نافعًا ولا فيهِ إلّا أنْ يضيعَ ثوابُ[3]
فَثُبْتُ لِحُسْنِ الصبرِ وهْوَ أجلُّ ما إليهِ إذا جَلَّ المصابُ يُثابُ

[1] مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 58 . وعجز هذا البيت هو صدر بيت من مطلع قصيدة لأبي تمام في مدح أحمد بن المعتصم، وعجزه : (نقضي ذمامَ الأربُعِ الأدراسِ). (ديوان أبي تمام بشرح التبريزي 1-358

[2] مجلة معهد المخطوطات . شعر أبي جعفر الغرناطي 50 . وما بين القوسين جزء من البيت التالي : (جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضً رُمْحَهُ ... إنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيْهِم رِمَاحُ) . وهو لحجل بن نَضْلَة ، وهو شاعر جاهلي . (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص 1-72)

[3] وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها 79 بيتًا. ينظر شعر ابن جابر الأندلسي 18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَعَمْرُكَ ما الدُّنيا بدارِ إقامةٍ فلِلناسِ عنها رحلةٌ وذهابُ "[1]

لقد صاغ ابن خطيب الناصرية ما يريد أن يصوغه بلغةٍ سرديّةٍ طيّعة ، اتسمت بالتركيز والدقة والمباشرة والخفّة ، كما كانت بعيدة ع ن الصنعة والافتعال وضروب التنميق والتزويق وطغيان الجانب اللفظي الذي طغى على جانب المضمون طغيانًا كبيرًا . إنه أسلوب علمي ، ولكنه أدبي جميل، نستطيع أن نسميه بالأسلوب العلمي المتأدب ، أو بالأسلوب الأدبي العلمي الذي جمع بين الفائدة والمتعة، وخاطب العقل والنفس م عًا، ولو أن الذين وصموا أدب العصور الزنكي والأيوبي والمملوكي في المشرق والمغرب نظروا إلى هذا النوع من الأدب وإلى أمثاله بصورة دقيقة منصفة من جهة، ووضعوا في حسبانهم أن الشاعر ليس شاعرًا ، لأنه يقول فيحسن، وإنما هو شاعر ، لأن قوله الحسن هذا يمثل عواطف الذين يسمعونه ويقرؤونه، ويرضيهم ويقع من نفوسهم موقع الإعجاب، ولم يرضك البيت من الشعر – كما قال طه حسين - إلا لأنه يوافق هوى في نفسك، و يلائم عاطفة من عواطفك ، ويُرضي حاجة من حاجاتك إلى الجمال [2]. أقول: لو أنهم وضعوا في حسبانهم ذلك لتغير الحكم على هذه العصور وآدابها، ولكان متصفًا بالشمول والإنصاف والدقة والعلمية.

وبعد، فإننا نرجو ببحثنا هذا أن نكون قد وفقنا إلى الغاية التي نصبو إليها، وهي الإشارة إلى أهمية هذا الكتاب وأمثاله من الناحية الأدبية ، وإلى أهمية دراسة الأدب في غير مصادره التقليدية، تلك الكتابات الطلْقة التي نجدها في كتب التراجم و التاريخ والجغرافية والرحلات وغيرها، والتي اتخذنا كتاب (الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب) الذي حققناه أنموذجًا لها آملين أن يضيف شيئًا إلى المكتبة العربية وإلى الدراسات الأدبية.

****

[1] الدر المنتخب 2-509 وما بعدها

[2] حديث الأربعاء 2/ 372

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت 2002 م
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. محمد راغب الطباخ. عني به محمد كمال. دار القلم العربي. حلب 1988. وطبعة المطبعة العلمية ، حلب 1923
- أعيان العصر وأعوان النصر. صلاح الدين الصفدي. تح علي أبو زيد وزملائه. دار الفكر المعاصر ودار الفكر. بيروت ودمشق 1998 م
- الأغاني. أبو الفرج الأصبهاني. تح سمير جابر. دار الفكر . بيروت
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي . دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان
- البدر الطالع الهدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. الشوكاني. دار المعرفة. بيروت
- بغية الطلب في تاريخ حلب. كمال الدين ابن العديم. تح سهيل زكار. دار الفكر. بيروت
- التدوين في أخبار قزوين. القزويني. تح عزيز الله العطاردي. الكتب العلمية ببيروت سنة1987
- **حديث الأربعاء ، طه حسين، الكتاب اللبناني ،بيروت 1974**
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . السيوطي. تح محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية. مصر 1387 هـ - 1967 م
- الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب (تاريخ ابن خطيب الناصرية) تح أحمد فوزي الهيب . مؤسسة البابطين الثقافية. الكويت 2017
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ابن حجر العسقلاني . تح محمد عبد المعيد ضان . مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر اباد. الهند 1392هـ - 1972م
- ديوان الشريف الرضي. عُني به محمود مصطفى حلاوي . دار الأرقم . بيروت 1999م
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول . مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» تح محمود عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة إرسيكا، إستانبول.
- السلوك لمعرفة دول الملوك. المقريزي. تح محمد مصطفى زيادة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. مصر. وطبعة أخرى تح محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت 1418هـ - 1997م
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي. تح محمود الأرناؤوط. دار ابن كثير. دمشق 1406 هـ - 1986 م . وطبعة مكتبة القدس. القاهرة 1351هـ
- **شرح ديوان أبي تمام. الخطيب التبريزي**. عني به راجي الأسمر. دار الكتاب العربي. بيروت 11994
- **شعر ابن جابر الأندلسي. صنعه أحمد فوزي الهيب. دار سعد الدين. دمشق 2007**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- شعر أبي جعفر الغرناطي. مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة. مجلد 54/ 1-53
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. السخاوي. دار مكتبة الحياة. بيروت.
- طبقات المفسرين. جلال الدين السيوطي. تح علي محمد عمر. مكتبة وهبة. القاهرة 1396هـ
- الكامل في التاريخ . عز الدين ابن الأثير الجزري . تح عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي . بيروت 1417هـ / 1997م
- كشف الظنون كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة. مكتبة المثنى - بغداد 1941م . وطبعة وكالة المعارف ، استانبول.
- مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حاليًا)المجلد 16، العدد 182 شباط (فبراير)1941 ص 185
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. العباسي. تح محمد محيي الدين عبد الحميد . عالم الكتب - بيروت
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). ياقوت الحموي . تح إحسان عباس . دار الغرب الإسلامي. بيروت 1414 هـ - 1993 م
- معجم المؤلفين. عمر بن رضا كحالة . مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي. بيروت
- موسوعة حلب المقارنة. خير الدين الأسدي. عني بها محمد كمال . جامعة حلب . حلب 1401هـ. 1981م
- الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي. التبريزي. تح خلف رشيد نعمان. سلسلة خزانة التراث. بغداد 2005
- النجوم الزاهرة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ابن تغري بردي . وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دار الكتب. مصر. و طبعة أخرى تح محرز و شلتوت. القاهرة 1972
- نظم العقدين في مدح سيد الكونين . ابن جابر الأندلسي . تح أحمد فوزي الهيب . دار سعد الدين . دمشق 2005
- نهر الذهب في تاريخ حلب . كامل بن حسين بن محمد البالي الحلبي، الشهير بالغزي . دار القلم. حلب 1419 هـ
- نيل الأمل في ذيل ا لدول. الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ . تح عمر عبد السلام تدمري . المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان 1422 هـ - 2002 م
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي . وكالة المعارف الجليلة . استانبول 1951**
- الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي. تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث . بيروت 1420هـ- 2000م، وطبعة أخرى تح صلاح الدين الهواري. دار الكتاب العربي . بيروت 1955
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ابن خلكان البرمكي الإربلي. تح إحسان عباس. دار صادر – بيروت 1900 -1994م .

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com